الفَصلُ الرّابِعُ: كَيفَ تَشكُرُ اللهَ؟!

في هذا الفصل نحاول أن نتكلم عن بعض الخطوات العملية التي تأخذ بأيـدينا نحو تحقيق الشكر، والشكر كما أسلفنا يكون بالقلب واللسان والجوارح، وسوف نتعرض لكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة بشيء من التفصيل -إن شاء الله تعالى- ونسأل الله الهداية والتوفيق.

أولاً: شكر القلب

ومن ذلك أن يكون القلب سليمًا خاليًا من الأحقاد والأضغان يملـؤه الرضـا والتوكل على الله -عز وجل- وأن يضمر الخير والحب للناس، وأن يحـب المـرء لإخوانه ما يحب لنفسه، وكذلك من شكر القلب أن ينوى -دائمًا- فعل الخـير ويعقد العزم على فعله؛ حتى وإن لم يتيسر له ذلك في الوقت ذاته.

ومن شكره أن يحب لله ويبغض لله، وأن تسعده الطاعة وتؤلمه المعصية؛ حـتى وإن كانت من غيره ومن -شكره أيضًا- أن يعمر بالإيمان واليقين والغيرة علـى الدين وإخلاص العبادة لرب العالمين ومن شكره -أيضًا- الاعتـراف بـنعم الله واستشعار تقصيره في أداء شكرها.

وشكر القلب وإن كان يعبر عنه بكلمات قليلة مقارنة بشكر الجوارح مثلاً إلا أن كل كلمة منها تحتاج من العبد المؤمن إلى جهد كبير ومجاهدة للنفس والهـوى والشيطان، وتحتاج إلى صبر ومثابرة وتدريب كما أن شكر القلب هو الأسـاس الذي يقوم عليه شكر اللسان وشكر الجوارح؛ فمن غير المعقول أن يـأتي المـرء بشكر اللسان والجوارح، وقلبه خالٍ من كل ما ذكرنا، وإن حصل فـإن ذلـك

يكون نفاقًا ورياءً، نعوذ بالله من ذلك فصلاح القلب يتبعه صلاح اللسان والجوارح كما أخبرنا نبينا ﷺ [١]: أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ؛ أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.

فعلى من يريد أن يحقق مقام الشكر أن يبدأ بقلبه فيتعهد ما فيه من الخير بالاهتمام، وأن يسعى لإصلاح ما به من عيوب؛ حتى يتسنى له أن يمضى فى تحقيق شكر اللسان والجوارح على أساس سليم، وعليه -أيضًا- وهو يؤدى أعمال اللسان والجوارح أن يتفقد أحوال قلبه مع كل قول أو فعل ويجدد نيته، ولا يغفل عن قلبه أبدًا؛ إن أراد أن يكون من الشاكرين بحق.

ثانياً : شكر اللسان

وشكر اللسان التحدث بكلمات الحمد لله عز وجل، والشكر على نعمه والثناء عليه سبحانه.

والألفاظ التى يتحقق بها ذلك كثيرة ومتنوعة وأفضلها -بلا شك- ما ورد فى كتاب الله وسنة المصطفى، وحين نقول شكر اللسان: لا يعنى ذلك أن تكون تلك الكلمات المشتملة على الحمد والشكر مجرد ألفاظ تخرج من اللسان بل نعنى: أن تكون تلك الكلمات ترجمة حقيقية لشكر القلب وتصديقًا لمكنونه وانعكاسًا لما وقر فيه من الشكر لرب العالمين والثناء عليه سبحانه.

وشكر اللسان له صورة عدة منها على سبيل المثال:-

---

(١) (متفق عليه): البخاري ٥٢، مسلم ١٥٩٩.

١- التحدث بالنعمة: فالتحدث بالنعمة وذكرها والتذكير بها لون من ألوان شكر اللسان، والمؤمن مأمور بذلك بنص القرآن؛ حيث قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى١١] وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة بركة، والفرقة عذاب [١].

فيجب على المؤمن أن يذكر نعم الله عليه، ويتحدث بما يدل على أنه مقر بنعم الله الكثيرة، عاجز عن تحقيق شكرها، يتقلب فى ألوانها ليل نهار؛ قال الفضيل بن عياض: [كان يقال: ومن عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم٧] قال: ومن شكر النعمة أن يحدث بها[٢]"].

٢- الثناء على الله: فالثناء على الله -عز وجل- بما هو أهل له صورة من صور شكر اللسان؛ حيث أنه لا يكفى أن يتحدث العبد بنعم الله عليه دون أن يثنى على واهب تلك النعم، بل لا بد للمؤمن من مداومة الحمد والشكر والثناء على ربه مستيقنًا أنه لا محمود بحق سواه ولا مستحق للشكر إلاه.

---

(١) (حسن): صحيح الجامع ٣٠١٤.

(٢) عدة الصابرين ١٢٠.

٣- ذكر الله: فالذكر -كما أسلفنا- شكل من أشكال الشكر المتعلق باللسان، وله صور كثيرة أعلاها قول: (لا إله إلا الله) وتلاوة القرآن الكريم، ثم بعد ذلك تأتى الأذكار المأثورة عن النبي، ثم الذكر المطلق، والنبيّ ﷺ يقول [١]: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

٤- أن نتقى الله فى ألسنتنا: فاللسان قد يكون سببًا لنجاة صاحبه، وقد يكون سببًا لهلاكه؛ فالنبي أخبرنا أن ما يكب الناس على وجوههم فى النار حصائد ألسنتهم.

فعلى الإنسان أن يتقى الله فى لسانه فلا يقول إلا صدقًا، ولا يستخدم لسانه إلا فيما يرضى الله من الذكر وتعلم القرآن وتعليمه ونشر العلم النافع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن يتكلم بالكلام الطيب الذى من شأنه نشر المحبة والمودة بين الناس وإدخال السرور على من حوله وتأليف القلوب؛ فالكلمة الطيبة صدقة.

وعلى الجانب الآخر على المرء أن يجنب لسانه الذى جعله الله أمانة عنده والذى سوف يسأل عن كل ما نطق بالكذب والرياء والسعى بين الناس بالنميمة والإفساد وشهادة الزور وفاحش القول والجرأة على حدود الله -عز وجل- ومحارمة ونشر الفسوق والفجور والأفكار المخالفة لشرع الله وألا يكثر من الثرثرة، فمن كثر كلامه كثرت أخطاؤه، وألا يخوض فى أعراض المسلمين وفيما لا يعنيه.

فليصن كلٌّ منا لسانه ويحفظه، ويتق الله فيه ففى ذلك شكر وأى شكر.

---

(١) (صحيح): الترمذى ٣٣٧٥، ابن ماجة ٣٧٩٣، صحيح الجامع ٧٧٠٠.

وصدق ابن القيم حين قال: [ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان[١]].

ثالثًا: شكر الجوارح

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: [وأما من شكر بلسانه و لم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه و لم يلبسه فما ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر[٢]].

فشكر القلب واللسان لا يؤتي أُكُله إلا إذا صدّقت الجوارح ذلك الشكر، وشكر الجوارح هو أن يستخدمها العبد فى طاعة الله -عز وجل- وينأى بها عن كل ما يغضبه، يتبع الأمر ويجتنب النهى ويتحرى الأدب والحياء مع ربه -سبحانه وتعالى- فى السر والعلن، وللجوارح صور شتى من الشكر نذكر منها:

١- شكر العينين

وشكر العينين يكون باستعمالها فى كل ما يرضى الله وكفهما عما يغضبه؛ فالمؤمن الحق من يدرك قدر نعمة البصر، ويسعى لشكر ربه عليها باستخدامها وجمال فى التأمل فى آيات الله فى الكون وما فيها من قدرة وجمال كما يستخدمها فى تعلم العلوم النافعة وقراءة كتاب الله ونشر ما يراه من خير وفى الاستعانة بهذه النعمة الجليلة فى قضاء حوائجه وحوائج المسلمين وستر ما يقع عليه بصره من

---

(١) الفوائد ١٧٦.

(٢) عدة الصابرين ١٣٢.

عيونهم وعوراتهم إلى جانب استعمالها فى شئون حياته اليومية بما يعنيه على تأدية رسالته فى هذه الحياة.

ذلك عن استعمالها فى طاعة الله، أما عن كفها عما يبغضه الله -سبحانه- فمن ذلك غض البصر عن محارم الله وعدم تتبع عورات الناس، وألا ينظر إلى أخيه نظرة تؤذيه؛ وألا ينتهك بهما محارم الله إذا خلا بها ولا يستعملها فى علم أو فعل من شأنه إلحاق الضرر بالعباد والبلاد.

٢- شكر الأذنين

ومن ذلك أنه إذا سمع خيرًا وعاه ونشره ليعم النفع، وإذا سمع شرًّا أنكره بقلبه وبلسانه ودفعه على قدر استطاعته.

ومن شكرهما -أيضًا- أن يحرص العبد على سماع القرآن الكريم والعلم النافع، وأن يبتعد عن سماع ما حرم الله -عز وجل- من الكلام الخبيث والفاحش والغناء المحرم وألا يتجسس بهما على أسرار العباد ولا يتتبع مالا يعنيه من شئونهم.

٣- شكر اليدين

يكون ذلك بكفهما عن إيذاء الخلق، فلا يبطش بهما بغير حق ولا يمدها إلى ما لا يملك، وما ليس له فيه حق.

ومن شكرهما -أيضًا- أن يستعملهما العبد فى كسب العيش من سبله المشروعة وفى تدوين العلم النافع، ومن ذلك -أيضًا- أنه على من يمسكون الأقلام بأيديهم أن يتقوا الله فيها؛ فلا يجعلون من تلك الأقلام أداة لنشر الأكاذيب والافتراءات والفضائح والفسوق والقدح فى أهل الصلاح، وما أكثر هؤلاء فى زماننا بل إنه

ينبغى على كل صاحب قلم أن يوجهه لما فيه الخير والصلاح ونشر الفضيلة ونشر العلم النافع والذب عن أعراض المسلمين وتعريف المسلمين بأمور دينهم بشكل صحيح.

وليعلم هؤلاء وهؤلاء أنهم موقوفون بين يدى ربهم، ومسئولون عما كتبت أيديهم؛ بل إن أيديهم شاهدة عليهم يوم القيامة بما قدموا؛ فإن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فلنتق الله فى أيدينا؛ حتى تكون شاهدة لنا لا علينا بين يدى مالك الملك.

٤ – شكر الرجلين

وشكر الرجلين أن يسعى بهما العبد فى الطاعة كأن يسعى لطلب العلم أو لكسب الرزق الحلال أو لصلاة الجماعة فى المسجد أو لقضاء حوائج المسلمين أو للجهاد فى سبيل الله بصورة المتعددة أو لصلة رحمه أو لعيادة مريض أو اتباع جنازة.

ومن شكرهما كذلك ألا يسعى العبد بهما فى معصية أو قطيعة رحم أو أى أمر من شأنه إلحاق الضرر بالناس أو نشر الفساد فى الأرض أو التعاون على الإثم والعدوان.

وليعلم كلٌّ منا أنه مسئول –لا محالة– عن كل خطوة يخطوها فى هذه الدنيا، وليتق الله فى رجليه وفى سائر جوارحه.

رَابِعًا: ألوان أخرى من الشكر

وإلى جانب ما ذكرنا هناك صور أخرى للشكر منها:

١ – الإنفاق فى الخير

قال الله تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد ٧]

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة ٢٦٧]

وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ ٣٩]

فالإنفاق هو شكر نعمة المال؛ فمن رزقه الله مالاً وأراد أن يؤدى شكره كما أراد الله منه فلينفق فى وجوه الخير وما أكثرها!.

ومن الإنفاق ما هو واجب كإخراج الزكاة؛ فمن كان عنده نصاب الزكاة ولم يخرجها فسوف يحاسبه الله -عز وجل- على منعها لأن المال مال الله ونحن مستخلفون فيه والزكاة حق الله في المال وهي ركن من أركان الإسلام.

والله -عز وجل- جعل مانع الزكاة كافرًا كما جاء ذلك في سورة فصلت حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت٦-٧]

وأكثرنا يعرف أن حروب الردة التي شنها الصديق أبو بكر -رضي الله عنه- كانت على مانعي الزكاة، وسميت بحروب الردة؛ لأن من امتنعوا عن دفع أموال الزكاة بعد موت النبي اعتبروا مرتدين عن الإسلام لمخالفتهم أمر الله وأمر رسوله.

ومن الإنفاق الواجب كذلك إنفاق المرء على من يعول كالزوجة والأبناء، وهو من أفضل أبواب الإنفاق كما أخبرنا الرسول في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١): دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (٢): كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ.

ومن النفقة الواجبة النفقة على ركن الإسلام الخامس وهو حج بيت الله الحرام، فمن كانت عنده نفقة الحج وتوافرت فيه شروط الاستطاعة وجب عليه الحج مع أول إستطاعته.

---

(١) مسلم: ٩٩٥.

(٢) أبو داود (٢ / ١٦٩٢).

obeikandl.com

وهناك الإنفاق غير الواجب الذى يؤجر المرء على فعله ولا يأثم إذا تركه؛ وهو من أعظم القربات إلى الله -عز وجل-.

ومن أهم أسباب البركة فى الدنيا ورفع الدرجات فى الآخرة ولقد قال المصطفى ﷺ [١]: لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.

والحسد هنا بمعنى: الغبطة.

والله -عز وجل- حين يمن على عبده بنعمة الكرم والجود ويقيه من البخل والشح؛ فذلك من عظيم فضل الله عليه؛ لأنه -سبحانه- ييسِّر لذلك العبد طريقًا إلى الفلاح والنجاة.

ومن نفيس كلام ابن الجوزى -رحمه الله- فى ذلك قوله: [واعلموا عباد الله أن الله -تبارك وتعالى- قال فى محكم التنزيل على لسان محمد رسوله ﷺ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر ٩]

ومن هو بخيل شحيح فليس بواق أو مفلح، واعلم أن البخل شجرة فى النار واغصانها مدلاة على الدنيا، وهى شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قادته إلى النار، وكذلك الكرم شجرة فى الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا؛ فمن تعلق بجزء

---

(١) متفق عليه: البخاري ٧٣، مسلم ٨١٥.

منها جذبه إلى النعيم، والكرم من أخلاق الملك الكريم، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم[١]].

فعلى كل مسلم أن ينفق مما آتاه الله بقدر ما ييسّر الله له؛ فالله -عز وجل- لا يكلف نفسًا إلا ما تطيق كما قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق ٧] فرب قليل يعود على صاحبه بالنفع الكثير، والله -سبحانه- قد يعتق رقابًا من النار بنفقة قليلة، ربما يحقرها صاحبها، ولا يعتقد أنها ذات قيمة، والنبيّ أخبرنا أن نتقى النار ولو بشق تمرة، وأخبرنا أن باب الصدقة واسع ويمكنه أن يسع الناس جميعًا؛ حتى إن الكلمة الطيبة صدقة وتبسمك فى وجه أخيك صدقة.

وعلى من يريد أن يتخذ من الإنفاق سبيلاً لشكر مولاه -عز وجل- أن يراعى أمورًا منها:

أن يخلص عمله لله ويبتغى بإنفاقه وجه الله -تعالى- وحده كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان٩]

فالمخلص من ينفق ابتغاء مرضاة الله وطمعًا فى ثوابه، ولا يكون إنفاقه من أجل سمعة أو شهرة أو رياء فمن أنفق؛ ليقال جواد، فقد أخذ أجره فى الدنيا وماله فى الآخرة من شيء.

---

(١) بستان الواعظين صـ ١٥.

- أن ينفق مما يحب؛ لأن الله -عز وجل- قال: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران٩٢]

فمن كان منفقًا فلينفق مما يحبه ويفضله وليؤثر أخاه على نفسه، وليعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن البر الذى سيناله بذلك يفوق بكثير ذلك الذى يحبه من متاع الدنيا الزائل.

وكذلك يجب أن يتحرى الجيد من الأشياء؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة ٢٦٧]

- ألا يتبع صدقته بالمن والأذى؛ لأن الله -عز وجل- نهانا عن ذلك فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة ٢٦٤]

بل عليه أن يعطى الصدقة وكله يقين أن المال مال الله، وليس له فيه شيء بل إن الله رزقه إياه؛ ليبلوه ولينظر كيف يفعل فيه.

٢- الصيام

إن آيات الصيام فى سورة البقرة تبدأ بقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ

مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة ١٨٣-١٨٥]

فأوضح الله -عز وجل- بعد ذكر فريضة الصيام وأحكامه وفضل شهر الصيام وتكريمه بنزول القرآن فيه أن الغاية الكبرى من هذه العبادة العظيمة هي تحقيق الشكر لله رب العالمين فكيف يكون ذلك؟!.

لقد اتفقنا أن أداء الطاعات وفعل المأمور ذلك عين الشكر وحقيقته، ولا شك أن الصيام طاعة من أجل الطاعات، وأمر من الله لعباده؛ فمن صام ابتغاء وجه ربه فقد أدى طاعة واتبع الأمر الإلهي؛ فيكون بذلك أصاب حقيقة الشكر.

ليس هذا فحسب بل إن في الصيام أيضًا شطر الإيمان الثاني؛ ألا وهو الصبر وهو الامتناع عن المعاصي وترك ما نهى الله عنه، وذلك يتحقق في الصيام؛ حيث يمتنع المرء عن المعاصي من أقوال أو أفعال بل ويمتنع حتى عن الحلال من أكل وشرب وشهوة من الفجر إلى الغروب؛ لأن الله نهاه عن ذلك في فترة الصيام، فالصيام بذلك يكون قد جمع للمؤمن شطري الإيمان الشكر والصبر.

كما أن الصيام يحقق الشكر من جهة أخرى؛ حيث يجعل العبد يشعر بالجوع والعطش مما يجعله يعرف قدر ما هو فيه من نعم الله عليه؛ فالمرء قد لا يدرك قيمة

النعمة إلا إذا حرم منها كما أنه حين يفطر يحمد ربه على ما أطعمه وسقاه، وكذلك يدفعه الصيام إلى العطف على الفقراء والمساكين؛ لأنه قد شعر بألم الجوع وفى التصدق عليهم وإطعامهم لون آخر من ألوان الشكر.

والصيام من العبادات التى لها خصوصية؛ فمن تأمل فيه وجده جامعًا لأقسام الشكر الثلاثة، ففيه شكر القلب؛ حيث إن من أركانه النية، والنية محلها القلب، وما دامت نية طيبة فهي من شكر القلب؛ كما أن الصيام يقوم أساسًا على الإخلاص، والإخلاص -كما ذكرنا- من العبادات القلبية التي يقوم عليها الشكر.

وفيه شكر اللسان حين يمتنع الصائم عن كل قول يغضب الله، ويجاهد نفسه في ذلك ويكثر من الذكر ويحمد الله -عز وجل- حين يفطر.

وفيه شكر الجوارح، فالبطن تمتنع عن الحلال؛ امتثالاً لأمر خالقها وطاعة له، وكذلك الفرج والعين تمتنع عن النظر للحرام، وكذلك حال الأذنين وكذلك سائر الجوارح.

٣- قضاء حوائج المسلمين

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[1]: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) متفق عليه: البخارى ٢٤٤٢، مسلم ٢٥٨٠.

فمن صور الشكر لله -عز وجل- أن يشكر العبد ربه على ما رزقه من مال وعافية ومنصب، وليكن شكره العملي على ذلك هو استخدام هذه النعم في قضاء حوائج المسلمين؛ فإن رأى أخاه المسلم في حاجة إلى المال أعانه بماله دون مَنٍّ أو أذى، وإن وجده فى حاجة لإنجاز أمر ما وهو قادر على أن يساعده من خلال عمله أو منصبه دون جور على حقوق الآخرين، أو فعل أمر مخالف لشرع الله فيجب عليه أن يفعل.

وكذلك إن وجد أخاه يحتاج إلى معاونته فى أمر من الأمور المشروعة أو أن حادثًا عرض له ويحتاج من يغيثه فعليه أن يسرع بإجابة ندائه، والنبي ﷺ يقول: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ [(١)]

فإن سادت تلك الروح الطيبة في مجتمعنا الإسلامى عم الود والحب وسادت الألفة، وغدا التعاون على البر والتقوى سمة مميزة؛ لذلك المجتمع الخيّر، وكان هؤلاء الذين ينفقون من أموالهم وأوقاتهم وعافيتهم لقضاء حوائج إخوانهم ابتغاء وجه الله قد حققوا شكر تلك النعمة بشكل عملى يعود عليهم وعلى غيرهم بالنفع والخير العميم.

(١) مسلم ١٧٢٨.